لِتُغْلِي وَتُرْخِصَ عَنْ خِبْرَةٍ وَتَشْرِي كُلًّا شَرْوَى مِثْلِهِ

فَعَاثَ عَلَى الْفَطِنِ اللَّوْذَعِي دُخُولُ الْغَمِيزَةِ فِي عَقْلِهِ

قَالَ فَازْدَهَى الْقَوْمَ بِذَكَائِهِ وَدَهَائِهِ، وَاخْتَلَبَهُمْ بِحُسْنِ آرَائِهِ مَعَ دَائِهِ، حَتَّى جَمَعُوا لَهُ خَبَايَا الْخُبْنِ، وَخَفَايَا الثِّبَنِ، وَقَالُوا لَهُ يَا هَذَا إِنَّكَ حُمْتَ عَلَى رَكِيَّةٍ بَكِيَّةٍ، وَتَعَرَّضْتَ لِخَلِيَّةٍ خَلِيَّةٍ، فَخُذْ هَذِهِ الصُّبَابَةَ، وَهَبْهَا لَا خَطَاءَ وَلَا إِصَابَةَ، فَتَنَزَّلَ قُلَّهُمْ مَنْزِلَةَ الْكُثْرِ، وَوَصَلَ قَبُولَهُ بِالشُّكْرِ، ثُمَّ تَوَلَّى يَجُرُّ شِقَّهُ وَيَنْهَبُ بِالْخَبْطِ طُرُقَهُ، قَالَ الْمُخْبِرُ بِهَذِهِ الْحِكَايَةِ، فَصَوَّرَ لِي أَنَّهُ مُحِيلٌ لِحِلْيَتِهِ، مُتَصَنِّعٌ فِي مِشْيَتِهِ، فَنَهَضْتُ أَنْهَجُ مِنْهَاجَهُ، وَأَقْفُو أَدْرَاجَهُ، وَهُوَ يَلْحَظُنِي شَزْرًا، وَيُوسِعُنِي هَجْرًا، حَتَّى إِذَا خَلَا الطَّرِيقُ

وامكن

وَأَمْكَنَ التَّحْقِيقُ، نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرَ مَنْ هَشَّ وَبَشَّ، وَمَا مَحَضَ بَعْدَ مَا غَشَّ، وَقَالَ إِنِّي إِخَالُكَ أَخَا غُرْبَةٍ، وَرَائِدَ صُحْبَةٍ، فَهَلْ لَكَ فِي رَفِيقٍ يَرْفُقُ بِكَ وَيَرْفِقُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْكَ وَيُنْفِقُ، فَقُلْتُ لَهُ لَوْ أَتَانِي هَذَا الرَّفِيقُ لَوَاتَانِي التَّوْفِيقُ، فَقَالَ لِي قَدْ وَجَدْتَ فَاغْتَبِطْ، وَاسْتَكْرَمْتَ فَارْتَبِطْ، ثُمَّ ضَحِكَ لِي مَلِيًّا، وَتَمَثَّلَ لِي بَشَرًا سَوِيًّا، فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا السَّرُوجِيُّ لَا قَلَبَهُ بِجِنْسِهِ، وَلَا شُبْهَةَ فِي وَسْمِهِ، فَفَرِحْتُ بِلُقْيَتِهِ، وَكَذِبِ لَقْوَتِهِ، وَهَمَمْتُ بِمَلَامَتِهِ عَلَى سُوءِ مَقَامَتِهِ، فَتَشَجَّى فَاهُ، ثُمَّ أَنْشَدَ قَبْلَ أَنْ أَلْحَاهُ

ظَهَرْتُ بِرَثٍّ لِكَيْمَا يُقَالُ ... فَقِيرٌ يُزَجِّي الزَّمَانَ الْمُزَجَّى

وَأَظْهَرْتُ لِلنَّاسِ أَنْ قَدْ فَلِجْتُ ... فَكَمْ نَالَ قَلْبِي مِنْهُ مَا تَرَجَّى

ولولا